

الفاعل الذي دافعت عنه شقيقة القاتل !!

مأثمة " الدكتور جورج صديف - بيروت "

... كانت هذه القضية - ولا تزال - غامضة . .
سواء من جهة الدوافع التي قيل أن المتهم اقترف
جريمته من أجلها . . أو الوسيلة التي نفذت بواسطتها . .
ولقد ظلت زوجة المتهم - وشقيقة القاتل - تقف الى
جانب زوجها مدافعة عن براءته من دم شقيقها . .
حتى بعد اعدام المتهم بسنوات .
ولو كان الحكم الذي صدر على « الدكتور لامسون »
على حق لاعتبر هذا الشخص صاحب أكبر مهنة
إنسانية . . مجرماً من الطراز الأول احكاماً وتديراً
لجريمته . . ولكن هل كان الحكم على حق ؟ !

إن قضية الدكتور د لاسون ، الذى لقي حتفه شتقاً فى سجن
« واندسورث » ، بلندن . . مداناً بقتل شقيق زوجته الفتى الكسيح
« برسى جون » ، لتعد من القضايا التى لا يزال يذكرها الشعب الإنجليزى
— والأمريكى أيضاً — ولعله سوف يمضى وقت طويل قبل أن تنمحي
تفاصيل محاكمة هذا الدكتور من ذاكرة الشعبين وليس الأمر براجع
فقط إلى أن هذه القضية كانت أولى القضايا الكبيرة التى توسع القضاء
فى أثناء نظرها فى مسائل طبية فنية . . بل لأنها كانت ذات صفة خاصة
نظراً لغموض الدوافع التى نسبت إلى المتهم ، والتى أدت — كما قيل —
به إلى القتل . . وكذلك لغموض الوسائل التى قيل أن المتهم اقترف
الجريمة بواسطتها . . بل أنه كان هناك أكثر من ذلك . . فقد ظلت
زوجة هذا المتهم — وشقيقة القتل — تقف إلى جانب زوجها مدافعة
عن برأئه من دم شقيقها برائة تامة . . حتى بعد أن هوى جسده
على المشنقة بسنوات ١ .

ولو كان الحكم الذى صدر على الدكتور د لاسون ، بالإعدام على
حق ، لأمكننا أن نعتبر هذا الرجل المثقف ، وصاحب أكبر مهنة
إنسانية ، مجرمًا من الطراز الأول إحكاماً وتديراً لجريمته . . ولكن :
هل كان الحكم على حق ؟ !

وهنا . . وبعد أن نستعرض وقائع هذه القضية ، وما دار حولها

من أقاويل يحق للمرء — بالرغم من صدور حكم القضاء العالى الانجليزى
مدينأ للتهم فيها — أن يتساءل :

— هل قتل الدكتور د لاسون ، حقيقة شقيق زوجته بواسطة
دس السم له ؟

— فإذا كان الأمر كذلك فهل كان يبغي قتله ... أم كان يريد أمراً
آخرأ أصلاً ؟

— وما هى الكيفية التى دس بها السم لضحيته ؟ !
ولقد كانت مهمة الاتهام فى أول الأمر ميسرة بعض الشيء . .
لأن الدافع إلى الجريمة كان يبدو عندئذ واضحاً ظاهراً لا غبار على
التفكير فى إمكان حدوث الجريمة نتيجة له . . هذا إلى أن أقاويل
عديدة قيلت فى شأن سيرة المتهم مما ساعد على إبعاد عطف المحلفين
عليه . . وبالرغم من أن المحاكمة استمرت ستة أيام فإن هؤلاء المحلفين
لم يختلوا فى حجتهم أكثر من نصف ساعة عادوا بعدها إلى أماكنهم
ليعلنوا أنهم يرون المتهم مذنباً ، غير مكترئين بما دار فى هذه الأيام
الستة من محاورات ومداورات فقهية وطبية . . ولا ملقين بالآ إلى
المهارة الفائقة التى أبدأها الدفاع ممثلاً فى شخص المستر مونتاج وويليامز ،
المحامى العبقري الكبير . . أو الأسلوب الرفيع الذى صاغ فيه مرافقته
عن المتهم . . ولكى ندرك إلى أى حد كان أمر هذه القضية يقلق

بأنه تذكر أنه أشار في إسهاب إليها عندما وضع كتابه ، أوراق متناثرة من الحياة ، إذ قال انها كانت أصعب وأدق قضية باشرها في أثناء حياته العملية الطويلة المليئة بالتجارب ! .

والآن فلنستعرض الوقائع . .

ففي عام ١٨٨١ كان يعيش في القسم الداخلي بمدرسة ، بلنهم ، في ويمبلدن ، بضواحي لندن ، فتى كسيح في الثامنة عشرة من عمره يدعى ، برسى جون ، هو أحد أفراد عائلته التي أضحت بعد وفاة الوالدين تتألف من بنتين وشابين عداة . . يعيشون جميعاً على الدخل اليسير الذى خلفه الوالدان لهم .

وكانت إحدى البنتين قد تزوجت في عام ١٨٧٨ بطبيب يدعى ، جورج هنرى لامسون ، فاستطاعت بذلك أن تستولى على نصيبها في تركة والديها ، ولم تلبث أن سلمته إلى زوجها الطبيب . . كذلك فعلت شقيقتها ، فقد تزوجت من موظف يدعى ، وليام تشابمان ، قبل زواج أختها بعام . . وبعد سنة من زواج ، لامسون ، مات الأخ الأكبر لزوجته فجأة ، فأفاد ذلك الطبيب الذى تمكن على الأثر - وبواسطة المال الذى آل إلى زوجته نتيجة لهذه الوفاة - من شراء عيادة طبية في « بورنموث » ، ولكنه ما لبث أن باعها إذ لم يحسن من ورائها ربحاً . .

رحل الدكتور ، لامسون ، بعد ذلك إلى أمريكا لغير ما سبب

واضح ، وبعد عودته أكره على رهن بعض ممتلكاته الخاصة المحدودة ،
وأخذ يتبع طرقاً عديدة ملتوية للحصول على المال . .

وفي معميان اضطرابه المالى هذا ، كتب الدكتور د لاسون ، إلى
شقيق زوجته د برسى جون ، خطاباً يفيض بالعطف والحنان ، منبئاً إياه
بأنه سيزوره بمدرسته فى اليوم التالى (٢ ديسمبر . .) وهو فى طريقه
إلى باريس ! وفى هذا اليوم قصد إلى ويمبلدون وبصحبه من يدعى
، نالوك ، — وهو طالب طب تعرف به الدكتور أخيراً — وعند ما وصلا
معاً إلى محطة د ويمبلدون ، ترك الدكتور زميله بها وذهب إلى حيث
يزور شقيق زوجته فى مدرسته ، وما لبث أن عاد بعد عشرين دقيقة . .
وأخبر مرافقه من تلقاء نفسه بأن شقيق زوجته هذا فى حالة خطيرة ،
وأن آلامه فى السلسلة الفقرية مبرحة وتندر بنهاية عاجلة غير حميدة . .
كما قرر له كذلك بأن المستر د ديروك ، — ناظر المدرسة — طلب
منه التريث فى السفر إلى باريس لأنه — أى الناظر — كان يعمل من
قبل فى شركة سكة حديد جنوب شرقى إنجلترا ، ويعلم أن الباخرة
المسافرة عبر المانش إلى باريس ليست من النوع الذى يمكن أن يطمئن
إليه المسافر فى مثل هذا الجو المضطرب فى ديسمبر .

ولقد تبين فيما بعد أن كل ذلك كان محض اختلاق من جانب
الدكتور د لاسون . . إذ ثبت أنه لم يذهب إلى المدرسة فى ذلك

اليوم قط . . . وبالتالي فإنه لم يقابل ناظرها المستر د بديروك ، ، كما أن هذا الأخير لم يكن في يوم من الأيام من موظفي شركة سكة حديد جنوب شرق إنجلترا ، أو على علم بحالة البواخر المسافرة عبر المانش . فما الذي حدا بالدكتور د لاسون ، إلى حياكة كل هذه الأكاذيب ؟ !

وفي اليوم التالي (٣ ديسمبر . .) كانت مدرسة بلنهم مسرحاً لمأساة غريبة ! !

فلقد كان د برسي جون ، يعيش في هذه المدرسة في هدوء . . . وبالرغم من مرضه المزمن الذي أدى إلى كساحه على أثر إصابته بشلل في قدميه ، فإنه كان يمضي وقتاً طيباً بين زملائه وأقرانه الذين كانوا يداومون على رعايته والعناية بأمره . . . ولقد أعد له كرسيان — من النوع الذي يستعمله المصابون بمثل مرضه — أحدهما في الطابق العلوي من المدرسة ، والثاني في فئتها — وكان زملاؤه يتبارون في خدمته ، وحمله صعوداً ونزولاً حتى لا يشعر بوحدته وبعجزه . . . وهكذا كان يشاركون دائماً ألعابهم ومسراتهم .

وفي اليوم الثالث من ديسمبر حمل د برسي ، إلى الفناء كالعادة وهو مشرق الوجه وفي صحة تامة . . . وبعد ما تناول الشاي وصلته رقعة تفيد أن الدكتور د لاسون ، — زوج شقيقته — قد خف إلى زيارته ، فحمله أحد زملائه إلى الطابق العلوي حيث حجرة ناظر المدرسة المستر د بديروك ، . . . وهناك تركه يحكي الناظر والضيف .

ولقد تملكك ناظر المدرسة الدهشة من الدكتور الضيف الذى أخذ
يحنو فى عطف ظاهر على قريبه الكسيح . . ويمتدح ما يراه من تقدم
فى صحته . . ذلك لأنه اعتاد أن يسمع منه دائماً أن هذا الكسيح لن
يعيش طويلاً !

ولما كان الناظر يعلم بأن ضيفه يحب شراب ، الشيرى ، فقد صب
له كأساً منه فقبله الدكتور شاكرآ . . وطلب قليلاً من السكر ليضيفه
إلى الشراب زاعماً أنه بذلك يكسر من حدة الكحول ، فأمر الناظر
باستحضار بعض السكر بالرغم من معارضته للدكتور فى رأيه الذى أبداه . .
وعندما وجد الدكتور السكر أمامه وضع قليلاً منه فى كأسه وأدار
الشراب بما فيه من سكر بمبراة كان يحملها ليساعد على ذوبانه . . وبعد
هنيهة فتح حقيبة صغيرة كانت معه وأخرج منها قطعة من الكعك كبيرة
« تارت » ، وما لبث أن انهمك فى تقطيعها إلى شرائح صغيرة بالمبراة . .
وكان يبدو أن هذه القطعة قد جهزت من قبل وأنها لم تكن كاملة
تامة ، بل أنه أكل جانباً منها من قبل . .

ومهما يكن من أمر فقد ناول الدكتور قريبه الكسيح شريحة ،
وقدم أخرى إلى الناظر . . والتهم هو ثالثة . . ثم وزع عليهما بعد
ذلك بعض الحلوى . . فأكل الجميع هنيئاً !

وفى هذه الأثناء صاح الدكتور كن نسي شيئاً هاماً . . وقال للناظر :

— يا مستر بديروك . . إننى لم أنسك ولم أنس تلاميذك عندما كنت فى أمريكا أخيراً . . فقد استحضرت بعضاً من « البرشامات » الفارغة معى من هناك لأريك إياها ، إذ هى خير وسيلة لإغراء الأحداث على تناول الأدوية ، مريرة المذاق ، دون تقزز أو أضرار . .

وأردف ذلك بأن أخرج من حقيبته صندوقين بهما « برشامات » . . وناول واحدة منها للناظر ، الذى كان يقف إلى جواره ، فابتاعها فى الحال مبدئياً إعجابه . . ثم تناول هو واحدة أخرى وفتحها وبعد أن ملأها ببعض السكر — أمام الناظر — قدمها إلى شقيق زوجته وطلب منه أن يبتلعها ، كما فعل الناظر بأختها ، حتى يتبين مدى نجاح استعمال هذه البرشامات . . ففعل فى الحال . .

وعلى الأثر استأذن الضيف فى الانصراف زعماً أن الوقت قد أزف ليستقل القطار الذاهب إلى لندن ، فرافقه الناظر حتى الباب ، وهناك أخذ يردد ما كان يردده دائماً من قبل من أن قريبه « برسى » لا يزال فى حالة خطيرة ، وأنه لن يعمر طويلاً ! .

وعندما استقل الدكتور « لاسون » القطار بدأ « برسى » يشكو خفقاناً وحرقاناً فى قلبه . . وقال بأنه يشعر بوطأة المرض المفاجئ . . كما ذكر بأن هذه الحالة ذكرته بحالة مشابهة انتابته فى أغسطس السابق عندما أعطاه قريبه الدكتور حبوباً طبية إذ كان يزوره فى « شانكلين » !

ولقد سامت حالة الفتى بعد ذلك وحمل إلى فراشه حيث رقد عليه
بملابسه لفراط أعيائه !

وكلما كان الوقت يتقدم كانت الحالة تزداد سوءاً . . فأخذ الفتى
يتلوى من الألم ، وأصدقائه وزملائه ينظرون إليه دامعي الأعين . .
وتصادف أن زار الناظر عندئذ ذلك طبيبان ففحصاه وسرعان ما قررا في
حزم بأنه في حالة خطيرة وأن لا أمل يرجى في نجاته . . وكان كل
ما أمكنا فعله هو إعطاؤه جرعة مخدرة لتخفيف آلامه وهو راحل
إلى دار البقاء . . وأكدوا بأن وفاته المرتقبة ترجع إلى سم زعاف ،
دس له . . فاتجهت في الحال الشبهة إلى قريبه الدكتور د لاسون ، الذي
كان في ذلك الوقت يعبر المانش في طريقه إلى القارة !

وعندما حم القضاء بالفتى ، أبلغ الناظر الأمر إلى البوليس الذي
أبرق في الحال يطلب من الدكتور د لاسون ، العودة فوراً . . فأجاب
هذا الدعوة ولم يخف أو يتخلف عن الحضور لحظة واحدة . . بل
عاد إلى لندن ليشهد نهاية المأساة ومعه زوجته التي لم تشك في برائه
أبدأ . . وعندما ووجه بالتهمة المسندة إليه المدعمة بالقرائن . . أبدى
دهشة بالغة . . واحتقاراً ظاهراً لرجال بوليس د سكوتلانديارد ، الذين
يكيلون التهم جزافاً لأول شك يتطرق إليهم أو يخطر في أذهانهم . . !
وفي مارس من العام التالي - ١٨٨٣ - بدأت محاكمة الدكتور



« جورج هنري لامون »

الدكتور لامسون في «الأولديلي» ، في وسط جو من الاهتمام البالغ والبلبلية الشديدة في الأفكار . . . إذ كان الجمهور شديد الالتفات إلى ما يجري في ساحة القضاء من مناقشات ومساجلات فقهية وطبية . . . تثير التعليق عليها . . . وذلك بعد ما أثبتت التقارير أن القاتل لقي حتفه على أثر تناول مادة سامة نادرة هي «الاكوتين» . . . تستخرج من بعض الأعشاب البرية . . . ولقد زادت حالة التوتر عندما أبرز الاتهام مستنداً هاماً في القضية . . . وهي ورقة بها وصف دقيق لهذا السم الزعاف وطريقة استخراجها كتبت بخط المتهم وعثر عليها بمكتبته . . . كما توصل الاتهام إلى إثبات أن المتهم اشترى من قبل جانباً منها في أغسطس ونوفمبر السابقين على الشهر الذي ارتكب فيه الحادث . . . وكان هذا كل ما لدى النيابة من أدلة مادية ! ولقد أبرزت النيابة أيضاً أمام القضاء أن الدافع للدكتور على ارتكاب جريمته ، هو أن موت الفتى يحقق لشقيقته — زوجته — إرثاً يقدر بألف وخمسمائة من الجنيهات ! واستنتجت أن هذا الإرث سيصل مباشرة إلى الزوج . . . فيخرجه ذلك المبلغ القليل نسيئاً من ورطته المالية الكبيرة !

وتكلم المحامي «مونتاج ويليامز» ، لمدة ثلاثة أيام مدافعاً عن المتهم في براءة ولباقة بين إعجاب الجماهير وحماستها لتخريجاته وتعليلاته المدهشة للحوادث . . . وكان مما قاله : إن الدكتور لامسون عرف بين أصدقائه

وزملائه بإنسانيته التي لا حد لها ، وأنه قام في مناسبات عديدة بجهود مشكورة لتخفيف آلام الآخرين ، وأن الفتى الراحل كان يحبه ويركن إليه ، فمن غير المعقول أن يقدم بعد ذلك على دس السم له . . ثم أن الدكتور المتهم لم يحاول الهرب أو الاختفاء وقد كان في إمكانه ذلك ، إذ كان قد وصل إلى باريس بالفعل عندما استدعاه البوليس للعودة إلى لندن . . ولكنه ما ظن أن الاتهام سيوجه إليه لأنه ملأ « البرشامة » التي تناولها القاتل والتي قيل أن بها السم أمام ناظر المدرسة ومن نفس السكر الذي وضعه في شراب « الشيرى » الذي تناوله . . هذا إلى أن ثلاثتهم اقتسموا الكعكة « التارت » الكبيرة وأكلوها معاً هي والحلوى الأخرى التي كان يحملها . . فكيف ينسب إليه بعد ذلك أنه دس السم في طعام تناوله هو والناظر ولم ينل أحدهما منه شيئاً . وفند المحامى سند النيابة ، فتحدى ساخراً جميع الأطباء أن ينكروا أنهم كلهم يحتفظون بأوصاف وطرق استعمال وأسرار تركيب المواد السامة المختلفة في مكنتهم ومعاملهم . . من الزرنيخ إلى الأكونتين ! ! وأما فيما يختص بما قيل من أنه الدافع للنهم على القتل ، فهو قول تافه . . فليست المئات القليلة المعدودة بالنى يمكن أن تدفع بطبيب إنسانى أن يلقي بماضيه ومستقبله في الرغام ! !

ولكن الأسلوب العالى فى المرافعة ، والتحليل البديع لأركان الجريمة

وأدلتها وقرائنها كما أبرزتها النيابة وهدمها الدفاع . . كل ذلك لم يجد
فتيلاً أزاء إصرار المحلفين واقتناعهم بإدانة المتهم . . فوجد القاضى
— السير هنرى هاوكنس — أن لا مفر من أن يلبس الطاقية السوداء
وأن ينطق وهو يرتديها : بإعدام المتهم وفقاً لما جرت عليه التقاليد
فى ، الأولديلى ، .

ثارت أمريكا عند ما علمت بالحكم ، فقد كان للدكتور د لاسون ،
أصدقاء عديدون هناك ، وما لبث أن بعث بعضهم بالتماسات لإعادة
النظر فى هذا الحكم . . وقد قبلت السلطات الإنجليزية التماسين منها ،
كان يشير أولهما إلى أن المتهم أصيب بالجنون فارتكب الحادث . . بينما
كان الثانى يؤكد أن المتهم ارتكب الحادث تحت تأثير المخدرات التى
اعتاد تعاطيها ! !

وقال النقاد فى انجلترا وأمريكا أنه ارتكب جريمة لفرط انسانية
ظناً منه تحت تأثير المخدرات . . أنها بلسم الآلام لقريبه الكسيع
المريض المعذب ! .

وبما يذكر أن التحليل الكيماوى أثبت أن كعكة د الثارت ، خالية
من أى سم . . إلا أنه وجدت قشرة من د زيبية ، فى معدة القتيل
ملوثة بمادة د الأكويتين ، فهل شبع الدكتور هذه د الزيبية ، اللعينة بالمادة
السامة ؟ وهل كان يعلم موضع هذه د الزيبية ، بالذات جعلها من نصيب

الفتى البائس ؟ ! وهل كانت البرشامة خالية من السم حقيقة ؟ ! وإنما فعل الدكتور ما فعل بشأنها لكي يضلل المحققين والقضاة ، ويعطي فكرة واضحة عن حسن نيته .

إن هذه الأسئلة وأشباهاها لما قد يخطر على بال الفاحص المدقق .
وهي أسئلة ما زالت الإجابة عليها تختلف من شخص لآخر . . . وما زال عليها الصحيح عند علام الغيوب . . .

ومهما يكن من أمر . . . فقد رفض الالتماسان من وجهتهما الموضوعية ونفذ « ماروود » - « عشاوى لندن - حكم الإعدام في الدكتور لامسون في ٢٨ من إبريل عام ١٨٨٢ .